١٧٥

قافية الياء

قال يمدح الحسنَ بنَ وَهْب :

الأول من الوافر ، والقافية متواتر .

١ ـ أَيَا وَيْلَ[1] الشَّجيِّ مِنَ الْخَلِيِّ وبَالِي الرَّبْعِ مِنْ إحدَى بَلِي

١ ـ (ق) أخذَه من قوله :

خَلا رَبْعٌ لِمَيَّةَ بالغَرِيِّ بَكَيْتُ بهِ لها إحدَى بَلِيِّ

ولامَ على بُكائى فيه خِلْوٌ ألا وَيْلَ الشجيِّ مِنَ الخَلِيِّ

والمعنى ويلٌ للشجيّ مما يُمنَى به من الخَلِيّ ، ومن الرَّبْع البالى من إحدى نساء بَلِيّ «وبَلِيّ» : هو حيٌّ من قُضاعة ، وإنما قال ذلك لأن الخلىّ ، يلومه ويُعنِّفه ، والربعُ يَشْجوه ويَشُوقه . فإن قيل لمَ شدَّد الياء من « الشجى » والمثل المضروب إنما هو (ويلٌ للشجِى من الخَلِىّ) مُخفَّفًا ، قلتُ : يجوز أن يكون شَدَّدَ لأنه جعله (فعيلاً) فى معنى (مفعول) يقال شجاهُ كذا يشجوه شجْوًا فهو مَشْجوٌّ وشَجيٌّ ، ويجوز أن يكون جَعَلَه (فعيلاً) بمعنى (فاعل) كأنَّه قال شَجىَ فهو شَجٍ وشَجيٌّ ، كما يقال حَزِنَ فهو حَزِن وحَزِين ، ويُحتاج فى هذا إلى سماع يؤيّده (ص) وأنشد المبرِّد :

نامَ الخَلِيُّونَ عن لَيْلِ الشَّجِيِّينا شانُ السُّراةِ سِوَى شانِ المُقيمينا

---

(١) س : « أيا ويح » .

٢ – وما لِلدَّارِ إلَّا كُلُّ سَمْحٍ بِأَدْمُعِهِ وأَضلُعِه سَخِيِّ

٢ – مِثْلُه :

ووَراءَهمُ صُعَداءُ أنفاسٍ إذا ذُكِرَ الفِرَاقُ أقمنَ عُوجَ الأَضْلُعِ

يقول : ما للوقوف على ديار الأَحبّة إلاَّ كلُّ سَمْحٍ بإسالة الدَّمْع وإظهارِ الوَجْد يتَنَفَّسُ الصُّعداء .

٣ – سَنَتْ عَبَراتُه الأَطلالَ حتَّى نَزَحْن غُرُوبَها نزْحَ الرَّكِيِّ

٣ – فى الأَصل « سَنَتْ عَبَراتِه الأَطلالُ »[1] « وسَنَتْ » بمعنى : استقَتْ .

(ع) : « سَنَتْ » فى معنى سَقَتْ ، يقال أَرض مَسْنِيّة ومَسْنُوّة : إذا سقاها المطرُ ، أَو سَقَتْها السَّانِيةُ ، وهم يعنون « بالسَّانيةِ » : البعير الذى يُستقى عليه ، ويريدون بها أَيضاً آلةَ الاستقاء ، قال الراجز :

يا مَرْحَباهُ بحمارِ ناجيَهْ إذا أَتى قرَّبْتُه للسَّانِيَهْ

« وغُروبها » جمع غَرْب ، وهو جَرَيان الدَّمع ، وربما قيل غَرْب العَيْنِ : عِرْق يكون فيها لا يَرقأ ، ولو قيل إنَّ غروب العين شُبِّهت بغروب الاستقاء ، لكانَ ذلك وجهاً . وهذا البيتُ فيه صنعةٌ ، لأَنه جعل غُروبَ العين تُنزح ، وهى موافقةٌ فى اللفظ لِغروبِ البئر ، وإنما جرت العادةُ بأَن تكون الغُروبُ من الدِّلاء هى التى يُنْزَحُ بها الماءُ .

٤ – سَقَى الشَّرَطانِ[2] جِزْعَكِ والثُّرَيَّا ثَرَاكِ بِمُسْبِلٍ خَضِلٍ رَوِيِّ

---

(١) هى الرواية فى س جعل « الأطلال » فاعلا .

(٢) « الشرطان » نجمان من الحمل .

٥ - فكَمْ لى منْ هَوَاءٍ فيكِ صَافٍ غَذِىٍّ جَوُّهُ وهَوًى وَبِىٍّ !

٥ - الرواية تختلف فى هذا البيت . « والهَوَاء » : ما بين السماء والأَرض ، وإذا رويت « غَذِىٍّ جَوُّه » فهو كناية عن الطِّيبِ ، أى كأَنَّ جَوَّه يُغذَّى بالنسيم والنَّدى ، وإذا رويت « غَذِىٍّ جُودُه » فهو راجعٌ إلى نحوٍ من ذلك ، لأَنه يستعير الجُودَ للهواء ، ومَن روى « عَذِىٍّ » بالعين غيرَ معجمةٍ ، فإنه يأْخذه من الأَرض العَذِيَّة والعَذَاة وهى الأَرض الطيّبة التراب ، مع بُعْدٍ من الماء ، إلاَّ أَنَّ التشديد فى « العَذِى » و« العَذِية » غير مستعمل ، والقياس يُجيزه ، لأَنَّ (فَعِلاً) و (فَعِيلاً) يشتركان كثيرًا . كقولهم سَقِمٌ وسَقِيم ، وجَرِجٌ وجَرِيح ومَن روى « وهَوًى وبِىٍّ » حَمَلَه على تخفيف الهمز ، لأَن « الوَبَاء » مهموز ، ومن روى « وهوًى وفِىٍّ » فهو من الوفاء ، وإنما يعنى هوَى النفس .

٦ - ونَاضَرَةِ الصِّبَاحِينَ اسبَكَرَّتْ طِلاعَ المِرْطِ فى الدِّرْعِ اليَدِىِّ

٦ - « اسبَكَرَّتْ » : تَمَّ شبَابُها واسترسل ، « وطِلاعُ المِرْط » أَى ملْؤُه ، يعنى مِرْطَ المرأَةِ ، وجاء فى الحديث : « لو أَنَّ لى طِلاعَ الأَرضِ ذَهَبًا » أَى أَى مِلْؤُها ، « واليَدِىُّ » الواسع ، ويروى « البدىّ » ، وهو البديعُ العجيب .

٧ - تَشَكَّى الأَيْنَ مِنْ نِصْفٍ سَرِيعٍ إِذَا قامَتْ ومِنْ نِصْفٍ بَطِىٍّ

٧ - [ق] يصف ثِقَلَ رِدْفِها ، ودِقَّة خَصْرها .

٨ - تُعِيرُكَ مُقْلَةً نَطِفَتْ ولكنْ قُصَـارَاها على قَلْبٍ بَرِىٍّ

٨ - (ع) : « نَطِفَتْ » : من النَّطَف ، وأَصلُه أَنْ تَهْجُمَ الغُدَّةُ على قلب البعير ، ثم استُعِيرَ « النَّطَفُ » للفساد ، وإنما يُريدأَنَّها مريضةُ المُقْلة ، وأَنَّ قلبَها بَرِىءٌ (ق) : يقول : هذه المرأَة تَتصنَّعُ لكَ ، وتُظهر أَنَّها

تُحبّك ، وتُريك أنها تبكى وَجْدًا بك ، وإنما أعارتْك عَيْنَيها إذ كان غايةَ ذاك وقُصَاراه أنَّ قلبها بَرِىءٌ مِن هَوَاك ، خالٍ من حُبِّك ، كما قال :

* قَلْبًا بريئاً يُنَاغِى ناظِرًا نَطِفَا *

« ونَطِفتْ » : مَرِضتْ أو سالت . ويُروى « وتعْرُك مُقْلَةً » : أى تُغمِضُها ، ليخرج الدَّمعُ منها .

٩ ـ سأَشكُرُ فَرْجَةَ اللَّبَبِ(١) الرَّخِىِّ ولِينَ أَخادعِ الدَّهْرِ الأَبِىِّ

٩ ـ يُقال فَرْجة وفُرْجة ، وعلى هذا يُنشد قولُ الشاعر :

ربّما تجزعُ النُّفوسُ مِن الأَمْـ ـرِ له فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ

ويقال فلان رَخِىُّ اللَّبَب : إذا كان فى سَعَةٍ من أمره ، ووصَف الدَّهرَ بلين الأَخادع ، لأَنَّ الرَّجلَ إذا وُصِف بالإباء قيل هو شديد الأَخْدَع ، وإنما فعلوا ذلك لأَنَّ « الأَخدع » عِرْق عظيم ، فكَنَوْا به عن الذُّل والعِزّ ، قال الفرزدق :

وكُنَّا إذا الجبَّارُ صَعَّر خدَّه ضَرَبناهُ حتَّى تَستقِيمَ الأَخادعُ

١٠ ـ وإنَّ لَدَىَّ لِلحَسَن بن وَهْبٍ حِبَاءً مِثْلَ شُؤْبُوب الحَبِىِّ

١٠ ـ سحاب مرتفع .

١١ ـ أَقُولُ لِعَثْرةِ الأَدَبِ التى قَدْ أَوَتْ مِنْهُ إلى فَيْحٍ دَفِىِّ

١١ ـ تصحيح العبدِىّ « لِعثرة الأَدب » . (ق) : ويُروى « إلى ثَبَجٍ دَفِىٍّ » : أى ظَهْر ، وليس بشىء(٢) . و « الفَيْح » والفَيَّاح والأَفْيَح : المكان المتَّسع ، والفَيَح بفتح الياء الاتساع ؛ والمعنى : أَوَتْ من الأَدب إلى خطر

(١) قال الصولى : ويروى « فرجة البال » .
(٢) هى الرواية فى س .

واسِع له دِفْئُهُ ؛ ويجوز أن يكون أراد «بالفَيْح» الحَرارة ، ومنه الحديث «استعيذوا باللهِ مِنْ فَيْح جهنم» ، والمعنى : أَوَتْ منه إلى ضِيق الأَيدى وحَرَارةِ سُوءِ الحال ، وعلقوا منه بعيشٍ نَكِدٍ * وقوله «لِعَشْرة» : أرادَ لأَجل عشرةٍ .

١٢ ـ أَمِيلُوا العِيسَ تَنْفَحْ[1] فى بُرَاها ... إلى قَمر النَّدَامى والنَّدِىِّ

١٣ ـ فَقَدْ جَعَلَ الإِلَهُ لكمْ لِسَاناً ... عَلِيًّا ذِكْرُه بأَبِى عَلِىِّ

١٤ ـ أَغَرُّ إذا تُمُرِّغَ فى نَدَاهُ ... تَمَرَّغنا على كَرَمٍ وَطِىِّ[2]

١٥ ـ لَعَمْرُ بَنى أَبى دَيْناً وعَمْرِى ... وعَمْرُ أَبى وعَمْرُ بَنى عَدِىِّ[3]

١٦ ـ لَقَدْ جَلَّى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ ... جَوٍ وأَصَابَ شَاكِلَةَ الرَّمِىِّ

١٦ ـ «الشاكلة» : الخاصرة ، ويقال هى الطِّفطفة المتدلِّية عنها ، وإذا أَصابَ الرَّامى الشاكلةَ ، فقد ظَفِرَ بالمُرَاد .

١٧ ـ فَضَضْتُ خِتَامَهُ فَتبلَّجَتْ لى ... غَرائِبُهُ عَن الْخَبَرِ الجَلِىِّ

١٨ ـ وكانَ أَغَضَّ فى عَيْنى وأَندَى ... على كَبدى مِنَ الزَّهَرِ الجَنِىِّ

١٩ ـ وأَحسَنَ مَوْقِعاً مِنِّى وعِنْدى ... مِنَ البُشْرَى أَتَتْ بعدَ النَّعِىِّ

٢٠ ـ وضُمِّنَ صَدْرُهُ ما لمْ تُضَمَّنْ ... صُدُورُ الغانِياتِ مِنَ الحُلِىِّ

٢١ ـ فكَائِنْ فيهِ مِنْ مَعْنًى خَطِيرٍ[4] ... وكائِنْ فيهِ مِنْ لَفْظٍ بَهِىِّ

---

(١) نفحت الناقة : ضربت برجلها .

(٢) «تمرغنا عليه . . . تفرشنا»

(٣) رهط حاتم .

(٤) س : لطيف .

٢٢ ـ وكَمْ أفصَحْتَ عَن بِرٍّ جَلِيلٍ بهِ ووَأَيْتَ مِنْ وَأْيٍ[١] سَنِيٍّ

٢٣ ـ كَتَبْتَ بهِ بلا لَفْظٍ كَرِيهٍ على أُذُنٍ ولا خَطٍّ قَمِيٍّ

٢٤ ـ فأَطلِقْ[٢] مِنْ عِقَالِكَ فى الأَمَانِى ومنْ عُقُلِ القَوَافى والمَطِيِّ

٢٥ ـ وفى رمْضَاءَ مِنْ رَمَضَانَ تَغْلِى بهَامَةِ لا الحَصُورِ ولا التَّقِيِّ[٣]

٢٦ ـ فيَا ثَلَجَ الفُؤَادِ وكانَ رَضْفاً ويا شِبَعى إذا يَمْضِى[٤] وَرِيِّ

٢٦ ـ يقال ثَلِجَ الفؤادُ يَثْلَجُ : إذا جاءه الخبرُ . فبَرَدَ من حَر ما يكون فيه من شوق أو وَجْد . وكأنَّه مأْخوذٌ من الثَّلْج . لأَنه بارد . وقوله « وكانَ رَضْفًا » الرَّضْف : حجارةٌ رقاقٌ تُلقى فى النَّار . فإذا حميت أُخرجتْ منها ، وطُرحت فى الماء أو فى اللبن .

٢٧ ـ رِسَالةَ مَنْ تَمَتَّعَ بعدَ حِينٍ ومَتَّعَنا مِنَ الأَدَبِ الرَّضِيِّ[٥]

٢٨ ـ لَئِنْ غَرَّبْتَها فى الأَرْضِ بِكْرًا لَقَدْ جُلِيتْ[٦] على سَمْعٍ كَفِيِّ

٢٩ ـ وإنْ تَكُ منْ هَدَاياكَ الصَّفَايا فَرُبَّ هَدِيَّةٍ لكَ كالهَدِيِّ

٢٩ ـ (ق) : يعنى رسالة أتته من عنده ، فسحَ فيها من أمله . يقول : وإن كانت هذه الرسالةُ من هداياك المختارة ، فربَّ هديّةٍ لك فى حُسْنها كالهَدِيِّ أى كالعروس التى تُهدَى ، ويجوز أن يكون رُبَّ هديّة لك فى

---

(١) « الوأى » الوعد الذى يوثقه الرجل على نفسه ويعزم على الوفاء به .

(٢) س : « فأطلق » فعلا ماضيا .

(٣) س : « ولا سيما على البر التقى » .

(٤) س : « بروقته » .

(٥) س : « الوضى » وفيها « منذ حين » .

(٦) س : « لقد زفت إلى » .

عظم موقعها كالبَدَنة التى تُهدَى للبيت. (غيره) : يقول : هذا المديح الذى أهديته إلىّ خالصٌ لى ، وسواه من الأموال لى ولغيرى ، كما أن الهَدِىّ وهى العروس ليس إلاَّ لزوجها .

٣٠ - بَيَانٌ لم تَرِثْهُ تُراثَ دَعْوَى ولم تُنْبِطهُ منْ حِسْيٍ بَكِيٍّ

٣١ - عَشَوْتُ على عِدَاتِكَ فيهِ حتَّى خَطَوْتُ بهِ على أَمَلٍ مُضِيٍّ

٣١ - [ص] يقول : أظلمتُ على أعدائك بِشعرك[1] الذى أنفذتَه إلىّ ، وكرهوا إجابتى وفيه لى أمل قوىّ .

٣٢ - فَناهِضْ بى مِنَ الأَسفَارِ وَجْهاً مَهارِيهِ[2] ضَوَامِرُ كالْحَنِيِّ

٣٣ - فلَسْتَ تَرَى أَقَلَّ هَوًى ونَفْساً وأَلزَمَ لِلدَّنوِّ[3] من الدَّنِيِّ

٢٣ - [ص] هذا مِثْلُ قوله :

وطُولُ مُقَامِ المرءِ فى الحىِّ مُخْلِقٌ لِديباجتيه فاغتربْ تَتَجدَّدِ

٣٤ - نَبَتٌ على خَلائِقَ[4] منكَ بيضٍ كما نَبَتَ الحَلِيُّ على الوَلِيِّ

٢٤ - « الحَلِيُّ » : هو يَبَس البُهْمَى ، فيجوز أن يكون حَمْله على هذا الوجه ، ولا يُمنع أن يجعل « الحلىُّ » ها هنا فى معنى المُحلَّى ، أى الروض الذى قد حُلِّى بالزَّهَر . وإن رويت « الخَلِيّ » بالخاء فجائز ، يُراد به النبتُ الذى يُخلى ، فأمَّا حَمْلُه على الخَلِيّ الذى هو يَبَس البُهمىّ فيجوز

---

(١) فى نسخة م من شرح الصولى : « ببرك » بدل « بشعرك » .

(٢) س : « مطاياه » .

(٣) هـ ش : « وألزم للديون » — ورواية س :

فلست ترى أحب هوًى ونفساً بأدنى النيتين من الدنى

(٤) م : « على مواهب » .

على تسمية الشيء فى آخر أمره ، بما كان عليه فى أوّله ، فيحسن أن يقال للشيخ : هذا الطفل الذى كان فى زمان كذا ، وكما تقول للإنسان الذى لا ولاية له : هذا أمير مكة ، أى الذى كان فيها أميرًا مرّةً من المِرَر .

٣٥ - فَمِنْ جُودٍ تَدَفَّقَ سَيْلُه لى على مَطَرٍ ومِنْ جُودٍ أتِىٌّ

٣٦ - ومِنْ جُودٍ[1] لهُ حَوْلى صَريفٌ بنَابَيْهِ ومِنْ عُرْفٍ فتِىٌّ

٣٦ - قوله « حولى صريف بنابيه » دَلّ بهذا الكلام على أنّه عُرْفٌ قديم فشبّهه بالبازل من الإبل الذى يَصْرفُ بنابَيْهِ .

٣٧ - ومَحْدُودِ الذَّريعَةِ سَاءَه ما تُرَشِّحُ لى مِنَ السَّبَب الحَظِىُّ

٣٧ - [ق] « محدود الذريعة » أراد به دِعْبلاً الشاعر ، وكان يحسد الطائىّ * ، « والمحدود » : المحروم .

٣٨ - يَدِبُّ إلىَّ فى شَخْص ضَئِيلٍ ويَنْظُرُ مِنْ شَفَا طَرْفٍ خَفِىٍّ

٣٩ - ويُتْبِعُ نِعْمتِى بِكَ عَيْنَ ضِغْنٍ كما نَظَرَ اليَتِيمُ إلى الوَصِىِّ

٣٩ - يعنى « بالوصىّ » هاهنا : مَن كان مذموماً من الأوصياء ، فهو يظلم اليتيم ويمنعه من حقّه ،فاليتيم ينظر إليه نظرَ حاقدٍ مغتاظ . وفى الكلام حذف ، لأن الأوصياء فيهم من يكون خيّرًا ، فيخلُف الأبَ فى ولده ، وربما زاد عليه فى الشفقة والإحسان .

٤٠ - رَجَاءَ أنَّه يُورِى بزَنْدِى إليكَ وأنَّه يَفْرِى فَرِيِّى

٤٠ - « يُورى بزَنْدى » أى يفعل كما أفعلُ ويكونُ نُجْحه فى الأمور

---

(١) س : « ومن عرف . . . ببازله » .

كنُجْحى ، «ويَفرِى فَرِيَّى» أى يعمل عملى ، وأصل الفَرِىّ : قطع الأَديم والجِلْدِ ، ثم استعير لغير ذلك .

٤١ ـ وذَاكَ لَهُ إذا العَنْقَاءُ صارَتْ مُرَبَّبَةً وشَبَّ ابنُ الْخَصِىِّ

٤١ ـ «العَنْقَاء» : يعنى بها التى تقول فيها الناس عَنْقاء مُغْرب ، وهى شىء لا تُعرف حقيقته . يقول : هذا الأَمر الذى يَرُومه الحاسدُ يَتمُّ إذا العنقاء (التى لا تُعرف) صارت مُرَبَّبةً فى أَيدى الناس ، وصار للخَصى ولدٌ ، وذلك ما لا يكون أَبدا .

٤٢ ـ أَرَى الإِخوانَ ما غُيِّبتَ عنهمْ بِمَسْقَطِ ذلكَ الشَّعْبِ القَصِىِّ

٤٣ ـ ومَرْدُودٌ صَفاؤهُمُ عليهِمْ كمَا رُدَّ النِّكاحُ بِلا وَلِىِّ

٤٤ ـ وهُمْ ما دُمتَ كوْكبَهُمْ وسَارُوا بِرِيحِكَ فى غُدُوٍّ أَوْ عَشِىِّ

٤٥ ـ فحِينَئِذٍ خَلا بالقَوْسِ بَارٍ وأُفْرِغَتِ الأَدَاةُ على الكَمِىِّ[1]

٤٦ ـ وإنَّ لَهُمْ لإِحْساناً ولكنْ جَرَى الوَادِى فَطَمَّ على القَرِىِّ

٤٦ ـ «طَمَّ السَّيْلُ» إذا ارتفَعَ ، «والقَرِىّ» : مَسِيلٌ من الغلظ إلى السهل ، وجمعه قُريان .

٤٧ ـ وهَلْ مَنْ جاءَ بعدَ الفَتْحِ يَسْعَى كصَاحِبِ هِجرَتَيْنِ معَ النَّبِىِّ؟!

٤٧ ـ ويروى «وما من جاء» ، يعنى «بالفتح» : فتحَ مكة ، وكانت الفضيلة لمن هاجرَ قبلَ أَن تُفتح ، فلمَّا ظهرَ الإِسلام لم يكن لمن هاجرَ تلك الفضيلةُ الأُولى . «والهجرتان» : تحتمل وجهين : أَحدهما أَن تكون هجرةَ الصحابةِ إلى الحبشة ، لأَنهم هاجروا مرّتَين ، فكانوا فى الهجرة الأُولى

(١) أداة الحرب سلاحها .

أَحَدَ عشَرَ رَجلاً وفيهم عثمانُ بن مظعون الجُمَحِيُّ ، ثم عاد عثمانُ ، وهاجرت طائفة أُخرى ، رئيسُها جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه . والآخر : أن يعنى « بالهجرتين » الهجرة إلى الحبشة ، والهجرةَ إلى يَثرب ، وهذا الوجهُ أشبَهُ وأوقعُ[1] .

آخر المجلد الثالث ، ويليه المجلد الرابع

---

(١) هذا آخر شعر أبي تمام فى المديح ، ويتلوه شعره فى الرثاء .

obeikandl.com